الحياة الثقافية ليهود مصر
فى العصر المملوكى

أ. عمر مصطفى لطف(*)

شكل اليهود فى العصر المملوكى احدى طبقات المجتمع المصرى، التى تأثرت بالبيئة المحيطة بها، وكان لها تأثير فى الحياة العامة فى هذا العصر. وفى البداية ينبغى شرح بعض المصطلحات الأولية والتى سترد كثيرًا فى البحث، مع إلقاء الضوء على أهم العلماء اليهود فى مصر الأيوبية، والذى ظل تأثيره العظيم على يهود العصر المملوكى أيضًا.

١- فرقة الربانيين:

هم الذين يتبعون ما فى المشنا والتلمود[١] من التفاسير، ويتقيدون بهما، وهي بعيدة عن العمل بالنصوص الإلهية، متبعة لآراء من تقدمها من الأحبار. وذُكرت هذه الفرقة فى سورة المائدة "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله".

ويذكر المقريزى أن هذه الفرقة لا تنتمى إلى اليهودية إلا اسما فقط، خاصةً بعد ظهور العالم اليهودى موسى بن ميمون (العصر الأيوبى)، فإنه ردهم مع ذلك معطلة، فصاروا فى أصول دينهم وفروعه أبعد الناس عما جاء به أنبياء الله من الشرائع اليهودية[٢].

(*) باحث فى التاريخ الإسلامى.

٢- فرقة القرائين (العنانية):

نشأت فرقة القرائين في القرن الثامن الميلادى – على يد العالم العراقى اليهودى عنان بن داود– من اليهود المعتمدين على العهد القديم دون الرجوع إلى التوراة الشفهية وتفاسير وشروح وتعليمات الحاخامات على التوراة[٣].

٤- وظيفة النجيد (الناجد):

«النجيد» كلمة عبرية معناها «الزعيم» أو «الأمير». و«النجيد» هو رئيس الجماعة اليهودية في الدويلات الإسلامية التي استقلت عن الخلافة العباسية ابتداءً من القرن العاشر في الأندلس ومصر وتونس[٤].

وكانت وظيفة رئيس اليهود تقتضي المحافظة على ترابط الجماعة، والحكم بين أعضائها حسب شريعتهم، والحكم في الأحوال الشخصية وحق الطرد من حظيرة الدين، وتعيين القضاة الكبار، وإقامة حدود التوراة[٥].

وصار منصب النجيد خير ممثل للحكم الذاتى فى العالم الإسلامى، وظل هذا المنصب قائمًا حتى بداية القرن (١٦م) حينما ألغاه العثمانيين[٦].

 # موسى بن ميمون:

هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون (١١٣٥– ١٢٠٤م)، واشتهر عند العرب بلقب الرئيس موسى. وُلد في قرطبة بالأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته سنة ١١٥٩ إلى مدينة فاس المغربية ثم إلى فلسطين، واستقرت في مصر آخر الأمر، وهناك عاش موسى حتى وفاته. عمل في مصر رئيسا للطائفة اليهودية، وطبيبًا لبلاط الوزير الفاضل ثم السلطان صلاح الدين الأيوبي وكذلك استطبه ولده الملك الأفضل علي. وكان أوحد زمانه في صناعة الطب ومتفنن في العلوم وله معرفة جيدة بعلم الفلسفة، ويوجد له معبد الآن.

من كتبه: اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس؛ مقالة فى البواسير وعلاجها؛ مقالة فى تدبير الصحة، صنفها للملك الأفضل على بن الملك الناصر صلاح الدين. ومن أشهر كتبه: دلالة الحائرين[٧].

وقبل الحديث عن الحياة الثقافية، لابد من إلقاء الضوء على تعليم اليهود فى العصر المملوكى:

كان التعليم عند أهل الذمة المصريين يتميز بطابعه الدينى فى الغالب وهو الطابع الذى غلب على تعليم المسلمين آنذاك أيضاً بحكم المفاهيم الدينية التى كانت تحكم ذلك العصر[٨]. ولم يكن نظام التعليم عند اليهود ثابتًا، بسبب وجود اليهود فى الشتات (ونظرا لقدوم جنسيات مختلفة وبالتالى اختلاف أنظمة تعليمهم عن بعضهم من ناحية وعن نظام التعليم اليهودى المصرى من ناحية أخرى).

وفى عصر المماليك كان التعليم يبدأ لديهم بشكل عام بتعليم أطفالهم فى المنازل تعليمًا خاصًا ، أو فى مدرسة أعدت لغرض التعليم الأولى، فكان أحد بيوت اليهود كان موقوفاً على تعليم أطفالهم[٩].

وقد كتب الشاعر يوسف بن تنحوم الأورشليمى فى القرن (١٠هـ ١٦م) أبياتا شعرية عن طفل تم إلحاقه بالمدرسة يصف فيها مراحل تعليم الأطفال وكيفية تقبله لها، وكان يتم تأجير معلم فى الأماكن التى يسكن فيها عدد صغير من الأسر اليهودية لتعليم الأطفال، كما كان يتم فتح مدرسة ليلتحق بها هؤلاء الأطفال، أما فى التجمعات الكبيرة فقد وجدت مدارس كثيرة لتعليم الأطفال، فقد جاء فى الفتاوى التى ترجع إلى العصر المملوكى "أن العالم قام من أجل هؤلاء الأطفال وعلينا الاهتمام بهم"[١٠]. وكان أطفال اليهود يتعلمون القراءة والكتابة وبعض الأدعية والصلوات التى كانوا يتلونها فى صلوات

السبت والمناسبات الدينية[11]. وكان الأطفال يرددون بصوت عال أسفار التوراة، ويغلب عليه الغناء متشبهين بأسلوب المسلمين فى تعليم أطفالهم فى الكتاتيب[12].

ويبدو أن النصارى واليهود كانوا يعلمون أولادهم القرآن الكريم، ونعتقد أن أهل الذمة كانوا يدخلون فى مكاتب المسلمين فيتعلمون القرآن، ففى سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) حضر وزير مغربى لزيارة مصر فرأى تصرف أهل الذمة فى الدولة. فاستنكر ذلك واتصل بالسلطان والفقهاء للنظر فى الحدود التى يقف عندها أهل الذمة بمقتضى عهود المسلمين عند الفتح، ومنها ألا يعلموا أولادهم القرآن. وقد حرم كل من البطريرك ورئيس اليهود على ذلك على أهل ملته[13].

وبعد المرحلة الأولية كان بعض الأطفال لا يواصلون تعليمهم بعد الانتهاء من مرحلة الحيدر، أما من يرغب فى مواصلة تعليمه، فكان يُرسل إلى إحدى الأكاديميات الدينية حيث يتتلمذ على يد مدرس أو حبر ذائع الصيت يدرس عليه الشرائع والقوانين اليهودية والتاريخ المقدس واللغة العبرية ، ثم يأتى التدريب العملى من خلال المشاركة فى خدمات واحتفالات السبت والأعياد اليهودية[14]. وكان عليه أن يقوم بدراسة المشنا والتلمود، ودراسة مؤلفات العالم الشهير موسى بن ميمون التى غطت على دراسة الجمارا، وكان عليه أيضًا أن يقوم بدراسة قواعد اللغة العبرية التى وضعها النحاة اليهود مثل رابى "يهودا بن حيوج" ورابى "يونا بن جناح"، فقد كتب أحد المعلمين عن تجربته الشخصية فى التعليم ، قائلاً: بأن المعلمين كانوا يحرصون على تعليم التلاميذ كثيرا من المواد الشفوية، وأن هذه المناهج كانت تشبه مناهج من يريد العمل فى سلك القضاء أو المناصب الدينية، وقد حرص الاباء على أن ينال أولادهم قسطا كبيرا من الثقافة العامة إلى جانب الثقافة التوراتية ، كما حرص هؤلاء المعلمون على

تعليم التلاميذ بعض أمهات الكتب، وكان من يرغب فى تعليم أساسيات اللغة العربية عليه أن يقوم بدراسة ألفية ابن مالك[١٥].

تفيد الدراسات أن هناك نوعين من طلاب العلم ينتمون إلى الأكاديمية الدينية اليهودية "هيشفيا" طلاب منتظمون، طلاب منتسبون، وذلك وفقاً للتعبير المتداول حالياً فى الجامعات ، وكانوا يتلقون تعليما عاليا يجعله مختلفاً عما يدرس فى هاميدراش، حيث تتناول دراستهم التوراة والتلمود ، وما يتعلق ببعض أمور الرشيعة ، وعادة ما يكون الطلاب منتظمون مغتربين يأتون من بلاد بعيدة ، أما الطلاب المنتسبون فهم يستطيعون الحضور والانتظام فى الجلسات إذا رغبوا فى ذلك للاستماع إلى الدروس دون الانتظام فيها[١٦].

جدير بالإشارة إنه تزايدت فى آخر عهد المماليك وبداية عهد العثمانيين فى مصر دراسة التوراة، فذكر الحاخام ديفيد بن زمارة "توجد حاليا فى مصر الكثير من المدارس المتخصصة فى تدريس الشريعة، الأمر الذى لم يكن له وجود فيما مضى ، ويتدارس الجميع حاليا التوراة. وهذا الأمر واضح ، وأشهد هنا على ما رأيت"[١٧].

مؤسسات التعليم اليهودية فى مصر المملوكية:

*** المعبد:**

جمع المعبد اليهودى منذ أقدم العصور بين وظيفته الأصلية كمكان للصلاة وأداء الشعائر الدينية وعدة أدوار كملتقى للجماعة ومكتب للتعليم وقاعة للمحاضرات والدروس الدينية ، وساحة للمحكمة اليهودية وملجأ لاستقبال المسافرين ، بجانب تقديم بعض الخدمات الاجتماعية من خلال تبرعات وهبات من أهل الخير للفقراء والمحتاجين من الطائفة[١٨].

وفى يوم السبت، يذهب اليهود إلى المعبد ساعة الظهيرة لأداء صلاة العصر، وفى أثنائها كان أحد الحكماء يقوم بإلقاء دروس باللغة العربية الدارجة تحث الحاضرين على المحافظة على الأوامر الدينية وتحذرهم من مخالفة ذلك[١٩].

وكانت توجد مكتبة فى المعابد اليهودية، حيث تكونت المكتبة من بضعة أدراج لحفظ عدة نسخ من التوراة والمخطوطات والكتب الدينية، المكتوبة فى أغلبها باللغة العربية[٢٠].

*** الحيدر:**

كان يطلق على المكان الذى يتعلم فيه الأطفال اسم "الحيدر" وجمعه "حداريم" بمعنى غرفة[٢١]؛ وهو عبارة عن غرفة تُخصص فى أحد المنازل ليتعلم فيها الصبيان . وفى "الحيدر" كان الأطفال يتعلمون على نفقة الطوائف، كما كانوا يمرون بمراحل تعليمية طبقا لأعمارهم: إذ خُصصت المرحلة الأولى للأطفال الذين يتروح أعمارهم ما بين الثالثة والخامسة، وكانوا يتعلمون الأبجدية العبرية والقراءة على يد المعلم الذى يساعده آخر يطلق عليه "ريش دوخنيا" (أى ما يُعرف بمساعد العريف عند المسلمين)، والذى كانت مهمته أيضًا حفظ النظام والقيام باحضار التلاميذ على كتفيه إلى الحيدر. أما المرحلة الثانية فخصصت للأطفال الذين تتروح أعمارهم ما بين الخامسة والسابعة، وكانوا يتعلمون الأجزاء الأولى من أسفار موسى الخمسة (القاسم المشترك بين فرق اليهود الثلاثة) ثم يتعلمون الصلوات والقراءة الصحيحة بالعبرية. أما المرحلة الثالثة فكان ينتظم فيها الأولاد من بين السابعة والثالثة عشرة، وقد أُطلق عليها بالعبرية "برمتسفا" وكانوا يدرسون فصولا معينة من الجمارا أو الأسفار الخمسة والقراءة فى أسفار النبياء والمكتوبات، وقد انتشرت الحداريم فى جميع المدن المصرية التى أقام بها اليهود[٢٢].

وجرت العادة أن يلحق الحيدر أيضًا بالمعبد حيث تقع قاعة الصلوات أو يخصص له احدى غرف المعب وكان الأطفال من الذكور يقضون معظم اليوم فى الحيدر ولا يسمح لهم إلا باجازات إلا فى أيام السبت والأعياد والعطلات الرسمية، وكان المعلمون يقومون بتشجيع الأولاد على الدراسة ، عن طريق تقديم بعض الهدايا لهم فى أيام السبت والأعياد، بالإضافة إلى اعطائهم بعض الفاكهة والملابس الجديدة .

أما فيما يتعلق بتعليم البنات فقد كن يأخذن قسطا من الثقافة وبخاصة فى الشئون الدينية، وكان يتم التعاقد مع المعلمين من أجل تعليم البنات الصلوات وبعض التفسيرات باللغة العربية[٢٣].

وتتحدث الجنيزا عن وجود "المدرسات"، وكن يعلمن البنات اليهوديات فن التطريز وأعمال الإبرة، وأيضًا كن يقمن بتعليم التوراة[٢٤].

وكانت هناك علاقة بين تولى المناصب والتعليم والثقافة، فقد حددت الوثائق الصادرة من ديوان الإنشاء لرؤساء اليهود، انه من ضمن الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى منصب رئاسة اليهود، أن يكون من أكبر الكهنة وأعلم الأحبار وأن يتميز بالنزاهة وحسن الخلق، وأن يكون عارفاً بكتب اليهود وشرائعهم ملما بالعبرية إلماماً تاماً[٢٥]، وهذا يدل على قلة المتحدثين بالعبرية فى العصر المملوكى، والمتعمقين فيها.

وكان النجيد يعين عدداً من الموظفين عُرفوا فى التاريخ اليهودى باسم "الجاؤونيم" (ومفردها جاؤون) وكان عليهم مساعدة النجيد فى أعبائه الوظيفية . وهو لقب يشير إلى الرفعة والعظمة والاحترام، ثم تطور دلالة هذا الإسم بمرور الوقت ليشير إلى كل من نبغ فى أمور التوراة وصولاً إلى ما بعد العصر المملوكى . وفى العادة يكونو علماء وفقهاء ، وانطلاقاً من هذه المكانة كانوا بمثابة شيوخهم أو زعماءهم الدينين[٢٦].

أما الحزان فكان معلماً ومؤلفاً لأعمال كهنوتية يتلوها أثناء صلوات السبت والأعياد، كما كان يقوم بالمواعظ والخطابة[٢٧].

ونأتى إلى الحديث عن الحياة الثقافية ليهود مصر فى العصر المملوكى

كان للجماعات اليهودية فى البلاد العربية والإسلامية تاريخ أدبى طويل، وتميز الربانيون بذلك التراث المتراكم على مدى عدة قرون ، ورغم المؤثرات الخارجية إلا أن النتاج الأدبى اليهودى ظل يهودياً فى روحه وأغراضه وشكله أحياناً، وقد دفعهم النشاط الثقافى الذى شهدته البلاد الإسلامية التى عاشوا فيها إلى التخلى عن العبرانية والآرامية، مما جعل الأدب اليهودى يسلك بالضرورة دروبًا جديدة، ومن ثم ظهرت اهتمامات جديدة عالجها الأدب اليهودى فى العصور الوسطى شعراً ونثراً، وكانت غالبية ذلك النتاج – لاسيما المنثور منه – مكتوبة باللغة العربية، ووجد يهود مصر حينذاك الفرصة متاحة أمامهم فى تلك الوفرة من الكلمات العربية والعبرية للتعبير عن تلك الاهتمامات الجديدة، ويذكر أحد الباحثين أن اليهود لم ينتجوا أعمالاً ذات قيمة إلا أثناء الفترة التى سادت فيها اللغة العربية، وكان لتلك الأعمال صداها البعيد بين كل اليهود على الرغم من كتابتها باللغة العربية[٢٨].

ويستنتج من وثائق الجنيزة – التى كتبت باللغة العربية ولكن فى حروف عبرية – أن غالبية يهود مصر فى العصور الوسطى كانوا يجهلون اللغة العبرية ، إذ نجد فى احدى الوثائق – وهو خطاب مرسل بالعبرية من ناسخ متجول إلى زوجته يرد ذكر من سيترجم لها الخطاب من العبرية، مما يدل على أنها لم تكن تعرفها. كما أن مؤلفات الكتّاب اليهود حتى فى المسائل المتعلقة بالتوراة والتلمود وغيرها من أمور الشريعة اليهودية كانت تكتب بالعربية التى كانت لغة السواد الأعظم من مصر حينذاك[٢٩].

ولابد أنه كان من بين الأسباب التى دعتهم إلى ذلك : رغبة الكاتب فى الانتشار بين جمهور عريض؛ وأدى عجز اللغة العبرية الجامدة عن تلبية حاجة الكاتب للتعبير عن نفسه ، مما دفعه إلى استخدام اللغة العربية[٣٠]. واقتصر استخدام العبرية عندهم على الأنشطة الدينية المتخصصة. وكان لامتزاج اليهود بالعرب أثر عميق على اللغة العبرية، فقد ازدادت فصاحة بمجاورتها للغة العربية التى تعد أرقى لغات المجموعة السامية كلها[٣١].

ويتضح من عبارات الأسف والاحتجاج على تجاهل العبرية التى صاغها أشخاص كتبوا أعمالهم أيضاً بالعربية أن مشكلة الاحتفاظ باللغة العبرية وسيلة للتعبير عن النشاط الثقافى اليهودى قد واجهت يهود ذلك العصر إلا أنهم ظلوا يستخدمون العربية لغة للتعبير الأدبى، ويتضح أن كبار المتدينين من اليهود لم يستطيعوا الوقوف أمام حقيقة اندماج اليهود المصريين فى ثقافة مجتمعهم[٣٢].

ومن ناحية أخرى، أصبحت مصر خلال القرون (١٢م – منتصف ١٤م)، مركزا ثقافيا يهوديا فى العالم الإسلامى، بعد زوال التعليم التلمودى الضخم فى تونس (أواسط القرن ١١م)، وانتهاء العصر الذهبى ليهود الأندلس (أواسط القرن ١٢م) نتيجة لاضطهاد الموحدين، بالإضافة إلى أن المعهد البابلى لم يعد عاملا روحيا فى حياة اليهود فى الشرق، وأيضاً لاستقرار اليهود المهاجرين من أوربا وبعض الدول العربية، فى مصر خاصةً، للإزدهار النسبى والآمن فى عهد الأيوبيين وبداية عهد المماليك، والمكانة الرفيعة التى كانت ليهود مصر تحت حكم رئيس اليهود الذى اعتبر أهم ممثل للحكم الذاتى اليهودى فى أواخر العصور الوسطى للإسلام[٣٣].

وقد تردد على مصر المملوكية بعض من يهود اليمن ومنهم علماء، وربما استقروا فيها[٣٤]. وتردد عليها أيضاً بعض اللاجئين الإسبان فى القرن

(١٥م)، والذين أدى قدومهم إلى تغيير جوهرى مفيد لليهود المصريين، إذ كان بين هؤلاء اللاجئين العديد من الأطباء وكبار رجال الدين، وممن هم على مستوى اجتماعى مرتفع. لقد تلاقت عاداتهم وشعائرهم بما كان من هذا القبيل لإخوتهم فى الدين المقيمين من فترة طويلة فى البلاد ، حيث تفاعلت فى جميعهم تأثيرات متبادلة. لقد أستعادت الطائفة آنذاك دفعة ثقافية جديدة، وقد استقبل الناجدين المصريين هؤلاء القادمين الجدد بكل حفاوة، وتقبلوا عند الاقتضاء السير على نمط تعاليمهم، إلا أنه كان من الصعوبة بمكان تفادى التوترات فيما بين المجموعات الاثنية والتى كانت تؤدى أحياناً إلى نزاعات عنيفة[٣٥].

ومن أشهر العلماء اليهود الزائين لمصر:

*** عوبديا[٣٦] برتينور Obadiah Jare Da Bertinoro**

من العلماء الذين زاروا مصر فى العصر الملوكى ، الرحالة اليهودى الايطالى عوبديا جاردا برتينور (١٤٥٠- ١٥٠٠م)، رحل من مدينة فلورنسا إلى فلسطين (١٤٨٦- ١٤٨٨م/ ٨٩١- ٨٩٣هـ) وزار مصر سنة (١٤٨٨م). وقام عوبديا فى أثناء زيارته لمصر باستحداث قواعد للتلاوة فى يومى الخميس والإثنين من كل أسبوع «وهى شعيرة لم يعمل بها من قبل».

ونوّه عوبديا إلى امتلاك أحد اليهود السكندريين ويدعى موسى جراسو لكتاب القابلاه ، وأوضح أنه كان موضع نقاش علمى فيما بينهما ، ونظراً لأنهما التقيا فى أفكارهما الخاصة بهذا العلم أصبحا صديقين . والقبالاه عبارة عن تقليد أو عُرف، وهو عبارة عن نظام فلسفى يهودى ذاع عن طريق أحبار اليهود وبعض النصارى فى العصر الوسيط، أفكارها مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيرًا صوفيًا.

ويهمنا نقل رأى عوبديا فى وضع يهود العالم الإسلامى، فيقول "فى الواقع إن اليهود ليسوا مضطهدين من العرب فى هذه المناطق، فقد ارتحلتُ داخل هذا البلد طولاً وعرضاً، ولم توضع فى طريقى عقبة من أحد منهم، وإذا ما وجدوا عصبة من اليهود مجتمعة لا يزعجهم هذا فى شئ ن ومن السهل على أى رجل يهودى ذكى متمكن من العلوم السياسية أن يرتقى إلى أن يصبح رئيسًا سواء لليهود أم للعرب على حد السواء"[٣٧].

*** يعقوب راف:**

كان الحاخام يعقوب بيه راف (١٤٧٤- ١٥٤١م) من مواليد طليطلة بالأندلس، وقد عمل الحاخام يعقوب خلال عام ١٥١٣ حاخاما فى مصر، ثم أسس فيما بعد بعض الحلقات الأكاديمية المتخصصة فى الدراسات التلمودية بمصر.

وكان الحاخام يعقوب من كبار حاخامات عصره، فيقول عن نفسه: "لا يعلم أحد ممن خرجوا من مملكة إسبانيا مطالعة الشريعة كما ينبغى أو تفهمها بالكامل سواى ، إننى أقول الحقيقة ، خاصة أن الرب أفاض علىّ بالمعرفة .. وبالرغم من أن البعض قد يتهمنى بالغرور والتعالى إلا انى أتحدث بالحق". وقد أكد الحاخامات الذين عايشوا هذه الفترة على مكانته الفريدة فى تفسير التوراة ، وأكدوا على خصوصية نهجه فى التفسير، وعلى تشابهه مع طريقة النظر التى اتبعها حاخامات ألمانيا وبولندا فى الفترة ذاتها[٣٨].

ومن ناحية أخرى، فإن النضال المذهبى بين الفرق اليهودية لاسيما بين القرائين والربانيين؛ والذى كان محوره الرئيسى ترجمة وتفسير الكتاب المقدس، قد أنتج نشاطًا أدبيًا واسع النطاق لدى الفريقين فى العصور الوسطى عبرت عنه تلك الأعمال اللاهوتية التى كُتب أغلبها باللغة العربية. وبالرغم من أن الجماعة القرائية فى مصر قد عاشت فى سلام فى العصور الوسطى فإن نتاجها من

رجال الفكر تمثل فى كتّاب متوسطى القيمة مثل "صمويل بن موسى المغربى" (ق ٨هـ/ ١٤م)، وتركزت جهود أولئك الكتّاب فى أعمال دينية كانت تدور حول تطوير وتلخيص أعمال أسلافهم، والاستثناء الوحيد بين أولئك هو "موسى بن إبراهم الدارى " الذى عاش فى القرن (٧هـ - ١٣م)، وهو شاعر ذو موهبة متمايزة إلا أنه اعتمد على محاكاة الأنماط الشعرية والأساليب التى استخدمها شعراء اليهود فى الأندلس. وفى القرن (٩هـ/ ١٥م) كتب أحد اليهود القرائين حولية عن كتّاب اليهود وهى بمثابة وثيقة تاريخية عبرية هامة[٣٩]، كما أن ابراهيم بن قرج الله بن عبد الكافى اليهودى الداودى العانانى (ت٨٤٤هـ) - والذى يبدو من اسمه إنه كان قرائيا - كان يجمع بين معرفة حاذقة بالطب، الذى يتكسب منه، وإلمام بمذاهب اليهود وأصول ديانتهم، "ولم يخلف بعده من يهود مصر مثله كثرة فى حفظ نصوص التوراة وكتب الأنبياء"[٤٠].

فى القرن (١٥م) بدأ أبناء الطائفة القرائية فى مصر فى كتابة "كتب صلوات "لكل أيام السنة، ونظموا أسفارا وقصائد وأدعية للمعابد ، كُتبت كلها باللغة العبرية، وقد وصلنا القليل منها[٤١].

ونلاحظ استمرار تأثر المفكرين الصوفيين اليهود بالصوفية الإسلامية فى العصر المملوكى، ومحاولات كتّاب مثل عوبديا بن ابراهيم بن ميمون اضفاء الاحترام الفكرى على الصوفية اليهودية، ويشير هذا إلى التوترات التى قامت فى هذه الفترة التى شهدت بداية الانحطاط اليهودى، وإلى الشعور بالحاجة إلى قيام تفاسيرات دينية جديدة لمشاكل مجتمع فقد عظمته.

ولابد من الإشارة من إنه عند النظر فى وضع اليهود فى دولة المماليك بالمقارنة مع يهود أوربا ، لم يحدث أن طُرد اليهود والمسيحيين من البلاد ولا حاول أحد تعقب من أسلم منهم للتحرى عن سلوكه الدينى . ولا شك أن هذه

الأسباب تفسر ولو جزئياً إحجام اليهود ، حتى فى هذه الفترة التى كثرت فيها الاضطهادات – كما يزعم بعض المستشرقين – عن إنتاج "أدب المعاناة" المماثل لما ألّفه اخوتهم المضارين فى أوربا[٤٢].

المسالمة :

لم يكن اعتناق اليهود للدين الإسلامى حدثا غريبا فى حياة الطائفة اليهودية ، فقد درس بعض اليهود القرآن الكريم، كما أن العلاقة القريبة بين المرتدين وأصدقائهم اليهود قد خلفت، دون شك، ضغطاً اضافيا ، وأغرت الآخرين بأن يحذوا حذوهم، ومال أبناء الطبقات العليا من اليهود إلى الإسلام لدوافع انتهازية. وخاض المرتدين اليهود – أحياناً – فى جدل مناهض لليهودية، كنتيجة لارتدادهم ، وهذا ما حدث لسعيد بن حسن الإسكندرى ، الذى اعتنق الإسلام عام (١٢٩٨م)، ثم ألف رسالة فى اثبات نبوّة محمد (ص) بالاستناد إلى التوراة، فضلا عن الدلائل الأخرى (وهذا يدل على اطلاع اليهود على مصادر العقيدة الإسلامية)، بل وحاول سعيد إجراء مناظرة – كما هو الحال فى دول أوربية كثيرة – بينه وبين عالم يهودى وآخر مسيحى فى حضرة السلطان المسلم[٤٣].

وإتخذت حوادث أهل الذمة للإسلام طابعًا فرديًا ، ومن أسباب ذلك، الاقتناع الذاتى والإيمان بالإسلام، مثلما أعلن "المهذب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحال" (ت٧١٦هـ) إسلامه سنة (٧٠١هـ) عن إيمان به، وكان رئيساً لليهود، وسُمى ببهاء الدين عبد السيد، وحُسن إسلامه، وجالس العلماء وحفظ القرآن.

فى بعض الأحيان كان إسلام أحد كبار أهل الذمة عن عقيدة وإيمان سبباً فى اقتداء البعض به إذ حدث حين قدم "نفيس بن عانان الداودى" إلى القاهرة سنة (٦٥٤هـ) أن فرح به اليهود كثيراً، وحين أعلن إسلامه تبعه كثيرون من اليهود[٤٤].

وتمدنا المصادر العربية بأسماء بعض الشخصيات اليهودية التى أسلمت وأثرت الحياة الثقافية والعلمية فى العصر المملوكى، وعلى رأسهم موسى بن كوجك (ت٧٦١هـ) ، وهو يهودى كان يدرس الطب ويلاطف تلاميذه ويُحسن إليهم، ويعالج أهل العلم ويخدمهم ، وقد اشتغل أيضاً بالعلوم العقلية، وكتب بخطه كثيراً من الكتب. وأسلم هذا الرجل فى مرحلة متأخرة من حياته[٤٥]. وهناك أيضاً صدر الدين بن نفيس الذى تقاسم رياسة الطب مع أسلمى يهودى آخر "علاء الدين بن صغير" (سنة ٧٨٢هـ) بعناية السلطان برقوق[٤٦].

وهناك أحمد بن المغربى الاشبيلى الذى كان فى يهوديته بارعاً فى عدة علوم، منها الفلسفة والنجامة، وقد أسلم سنة (٦٩٠هـ) أيام السلطان الأشرف خليل بن قلاون، وولى رياسة الطب[٤٧].

الأطباء اليهود فى العصر المملوكى:

برز الدور الاجتماعى للأطباء فى مقدمة الشرائح الاجتماعية والاقتصادية فى مصرالمملوكية، بعد تراجع دور التجار والصيارفة نتيجة النظام الإقطاعى العسكرى الذى عرفته مصر فى زمن الأيوبيين والمماليك. ولدينا خطاب من أوراق الجنيزة فى أواخر عصر المماليك ، موجه إلى "الجماعة اليهودية فى القاهرة .. الكهنة المحترمين، واللاويين الأعزاء، والشيوخ الأمناء، والأطباء الأحباء"، وهو ما يوضح المكانة الاجتماعية الراقية التى احتلها الأطباء فى ذلك الزمان[٤٨].

وفى مجال الطب برع عدد من اليهود وطبقت شهرتهم الآفاق، وتخصص الأطباء اليهود فى مختلف فروع الطب، وبصفة خاصة فى الكحالة (طب العيون). ويلاحظ أن كثرة اليهود الأطباء تدل على عدم وجود "جيتو مهنى" عُزل اليهود داخل نطاقه، ولكن لا يعنى كثرتهم أيضاً، احتكارهم لهذه المهنة أو قيادتهم لها، فبرز الأطباء اليهود برفقة أطباء مصريين آخريين من

المسلمين والنصارى[٤٩]. ولم يفرق سلاطين المماليك فى المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين[٥٠]. وقد نوّه ابن الأخوة (عاش إبان القرن الثامن الهجرى \ الرابع عشر الميلادى) بأن المسلمين لا يعملون فى مجال الطب وذكر أن بعض الأماكن خلت تماما من الأطباء المسلمين، ولم يوجد بها سوى أطباء من أهل الذمة . وقد أكد هذه الرواية أحد الشعراء حين قال :

"لُعن النصارى واليهود لأنهم سحروا الملوك وغيروا الأحوالا

وغدوا أطباء وحسابا لهم فتقاسموا الأرواح والأموالا"[٥١]

جدير بالذكر أنه لم تكن هذه الظاهرة جديدة، بل كثر عدد الأطباء من أهل الذمة فى العصر الفاطمى والأيوبى، فيقول المؤرخ ابن سعيد فى (القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى) "أن أكثر ما تعيش به اليهود والنصارى، هو جباية الخراج والطب"[٥٢].

وكان أطباء البلاط اليهود فى مصر على مدى عدة أجيال، القادة المنظمين للجماعة اليهودية فى مصر، وتولى عدد كبير منهم منصب رئيس اليهود (النجيد) إلى جانب عملهم فى مجال الطب[٥٣]. وقد استطاع بعض الأطباء اليهود أن يصل إلى منزلة عالية، فلجأ إليهم بعض سلاطين المماليك عند الضرورة، وصار بعضهم طبيبًا خاصًا لبعض سلاطين المماليك، مثل الريس زين الدين خضر الاسرائيلى الطبيب الخاص للسلطان الأشرف برسباى، والريس محب الدين، الطبيب الخاص للسلطان خشقدم[٥٤]. وقد عمل هؤلاء الأطباء جاهدين للحفاظ على المستوى المهنى وساعدهم فى ذلك المسلمون أنفسهم. وقد ذكر الرحالة اليهودى ميشولام أنه يوجد بين يهود القاهرة (وفى وقت زيارته) عدد كبير من كِرام الرجال، ويقول عن أحدهم إن السلطان كان يحبه كثيراً لأنه كان الطبيب المسئول عن علاجه[٥٥].

وأُطلق على الأطباء اليهود ألقاب عدة، ولكن أشهرهم هما المهذب ، والموفق، يضاف إليهما لقب خضر الذى لُقب به الكثير من الأطباء، وعلى ما يبدو أنه لم يكن اسما حقيقيا ولكنهم اختاروه تيمنا ببطل أسطورة تُنسب إليه المهارة فى الطب[٥٦].

وقد اعتنق كثيرا منهم الدين الإسلامى ؛ على حين ظل بعضهم على يهوديته. وتولى عدد من مسالمة اليهود رئاسة الأطباء فى مصر. وكان هذا المنصب شبيهاً بمنصب "نقيب الأطباء" فى عصرنا، ولكن سلطاته كانت أوسع كثيراً[٥٧].

ومن الأطباء اليهود الذين برزت أسمائهم فى عصر المماليك ، "الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبى الحسن بن شمويل" الذى تولى رئاسة اليهود سنة (٦٨٤هـ)[٥٨]، وهناك "صدر الدين بديع بن نفيس التبريزى " الذى تولى رئاسة الأطباء شريكاً لعلاء الدين بن صغير[٥٩]، وهناك عبد اللطيف بن ابراهيم بن شمس الذى كان بالإضافة إلى كونه طبيبا، كان رئيسا لليهود.

وهناك الطبيب السديد الدمياطى (عاش فى دمياط) موجودا فى (النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع الهجرى الميلادى)، وتلميذ للطبيب الشهير علاء الدين بن النفيس (ت٦٨٧هـ ١٢٨٨م) بعد أن تلقى منه السديد أساسيات الطب ، وقد حقق السديد نجاحا كبيرا فى الطب ، حتى قال عنه أهل دمياط انه ليس له مثيل فى هذا القرن ، لذا اختاره السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليكون طبيبه الخاص، وكان السديد على دراية ببعض العلوم الأخرى غير الطب، مثل الحساب والفزياء، كما كان على علاقة طيبة مع المثقفين المسلمين فى تلك الآونة ، ومن بينهم المؤرخ المشهور صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (ت٧٦٥هـ ١٣٦٣م)، وتوفى السديد عام ٧٤٣هـ ١٣٤٢م).

وكان لبعض الأطباء اليهود فى عصر دولة المماليك البحرية مؤلفات طبية هامة، وصل إلينا بعضها وفقد البعض الآخر[٦٠].

تتحدث وثائق الجنيزة كثيراً عن الطبيبات اليهوديات، ولأنهن جميعاً من الشرائح الدنيا فى المجتمع، فمن المؤكد أنهن اكتسبن الخبرة من الممارسة والتقاليد الموروثة، ولم تدرس الطب دراسة علمية وفق الأصول التى كانت متبعة حينذاك[٦١].

الكتب العامة:

ظهر فى العصر المملوكى، فى الحياة الثقافية اليهودية نوع من الكتب يسمى "الكتب العامة" نظرا لاهتمامها بالكليات أو بالتفاصيل على وجه العموم ، كما أن موضوعها الرئيسى يتعلق بالقضايا المنهجية، ويهتم بعضها بتلك القواعد والأسس التى قامت عليها الكتب القديمة من تلمود وشروح للتوراة، وأسس مؤلفات الأقدمين، كما أن بعض من هذه الكتب يهتم بتاريخ الحاخامات الذين دونوا مؤلفات معينة أو شاركوا فى تدوين أدبيات محددة. وتمثل هذه الأعمال أساس الكثير من المؤلفات البيليوجرافية الحديثة.

وأهتمت هذه الدراسات بمواضيع عدة، منها:

١- أسس المصادر والعلاقة فيما بينها.

٢- توضيح المصطلحات والتعابير الخاصة.

٣- أسس دراسة النصوص. وكان هذا المجال يشمل بحث إحدى الإشكاليات والتعمق فيها، والتعرف على المكونات الأدبية المختلفة للنص وبنيته.

٤- أسس التشريع على نحو عام وخاص.

٥- التراجم.

٦- البيليوجرافيا.

واهتمت بعض الأعمال بجانب واحد من هذه الجوانب سالفة الذكر فى حين أن بعضها الآخر تناول أكثر من جانب . وفى الحقيقة توجد فروق ضخمة بين بعض المؤلفات غير أنه من الممكن تصنيفها فى أحد المجالات. وفى هذا المجال "يوجد خط مشترك مميز لمؤلفات حاخامات الأندلس وشمال افريقيا ومصر"[٦٢].

التنجيم:

عمل بعض اليهود بمهنة التنجيم وحاز فيها شهرة واسعة ، فقد امتلك أحد اليهود حانوت يمارس فيه مهنة التنجيم مدة تزيد على أربعين سنة حتى أشتهر المكان باسمه، وهذا يدل على تعلم بعض اليهود علم التنجيم والتعمق فيه[٦٣].

ولابد من الإشارة إلى انه بالرغم من إتقان اليهود لعدة لهجات، والعمل بالترجمة فى أماكن عدة، إلا إنه لم يصلنا ذكر لنشاط يهودى فى الترجمة فى المجال الثقافى[٦٤].

آل ميمون ودورهم فى الحياة الثقافية:

منذ القرن ١٢م شهد اليهود المصريين ازدهاراً ثقافياً ، كانت بدايتها بمقدم العالم موسى بن ميمون، حاملاً معه تراثا ثقافيا غنيا لليهود العرب الأندلسيين، كما أنشأ فى مصر سلالة من الأدباء والعلماء هيمنوا على زعامة الطائفة أيضاً فى أواخر هذه الفترة، وحملو فى الوقت ذاته شعلة العلم الميمونية حتى أواخر القرن ١٤م. مما أدى إلى نهضة نسبية فى الحياة الثقافية لطائفة كانت مصيرها الاقتصادى والسياسى آخذاً فى التدهور[٦٥].

تولى إبراهيم بن موسى بن ميمون[٦٦] وظيفة الناجد في الفترة (٦٠١-٦٣٥هـ/ ١٢٠٤- ١٢٣٧م)، وخلفه فى منصب الناجد بمصر من بعده ابنه داود وهو فى سن السادسة عشرة سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)، واستمر فى هذا المنصب حتى وفاته وهو يناهز المائة عام وأربعة؛ ولقد ترأس داود معهد الفسطاط ، وتنسب إليه مجموعة من المواعظ، وله شرح لجزء "الآباء" من المشناه، و"تحرير نبوءة الطفل نحمان". ولقد عمل ابنه إبراهيم ناجدا معه فى أواخر أيام حياته بسبب كبر سنه.

وكان من سلالة إبراهيم بن داود ابنه يوشع الذى صار ناجدا بعد أبيه حتى وفاته سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٥م)، وهو فى سن الخامسة والأربعين، والذى وضع مجموعة "الفتاوى الشرعية "[٦٧].

وآخر ناجد فى عائلة ميمون هو داود بن يوشع الذى نجده لغير سبب ما موجودا فى دمشق وحلب عدة سنوات (حوالى ٧٧٧- ٧٨٨هـ/ ١٣٥٥م) مع استمراره ناجدا على مصر (لم يكن الناجد على مصر ناجدا على الشام أيضاً منذ اندلاع الحروب الصليبية فى الشام). وظل داود ناجدا حتى بداية القرن التاسع الهجرى[٦٨]، ولداود رسالة بالعربية فى المكاييل والمقاييس فى التوراة والتلمود[٦٩].

جدير بالذكر أن من آل ميمون من لم يتولى وظيفة النجيد، ولكن له إسهامات ثقافية، مثل عوبديا بن ابراهيم بن موسى بن ميمون، والذى له رسالة شبه صوفية بعنوان "المقالة الحوضية". وكانت كتاباته تحاول اضفاء الإحترام الفكرى على التصوف اليهودى[٧٠].

أهم مثقفى اليهود:

يافث بن دافيد :

من أشهر الشخصيات القرائية فى مصر، يافث بن دافيد : رئيس أسرة اليشع الشهيرة، وكل نسل هذه الأسرة من دارسى الشريعة، استقروا فى مصر ودول مختلفة فى أنحاء العالم، بما فيها تركيا.ويافث بن دافيد بن شموئيل بن تساعير، عاش فى القاهرة فى بداية القرن (١٤م) ، ووضع كتاب "الوصايا" فى عشرة أجزاء باللغة العربية ، وكان يافث طبيبا، وكان يُكنى بالعربية "الصفى" المخلص[٧١].

يوسف بن تنحوم:

وهناك الشاعر يوسف بن تنحوم (عاش فى القرن ١٣م) وهو من أواخر من كتبوا الشعر العبرى بالعربية على طريقة القصيدة العربية، وقد عاش فى كنف العائلة الميمونية ورعايتها. وقد عاش والد يوسف بن تنحوم (ت١٢٩١م) أيامه الأخيرة فى مصر، وكان عالماً فى اللغة وتفسير التوراة[٧٢].

* *

الهوامش :

[1] التلمود: اسم عبرى معناه "تعليم". وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين: المشنة (المشناه) وهو الموضوع ، وهو عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الايات من العهد القديم. واليهود يزعمون بأن هذه التقاليد أُعطيت لموسى (عليه السلام) حين كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عنهم إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثانى الميلادى حتى جمعها الحاخام يهوذا وكتبها. وهناك الجمارة (الجمارا) وهى التفسير ، وهى مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التى جرت فى المدارس العالية بعد إنتهاء المشنة. والتفاسير المسطرة مع المشنة نوعان : يعرف أولهما بتلمود أورشليم وقد كتب بين القرن الثالث والخامس، ويعرف الثانى بتلمود بابل وقد كُتب فى القرن الخامس الميلادى. نخبة: قاموس الكتاب المقدس، القاهرة، دار الثقافة، ط٧، ١٩٩١، ص٢٢٢.

[2] المقريزى: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، ٢٠٠٣، ج ٤ – م٢، ص٩٥٤.

ويقول المقريزى (أحد أهم مؤرخى العصر المملوكى وذو ثقافة موسوعية) "من أطلع على ما بأيديهم وما عندهم من التوراة، تبين له أنهم ليسوا على شئ، وأنهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس. ولذلك لما نبغ فيهم موسى بن ميمون القرطبى عولوا على رأيه، وعملوا بما فى كتاب (دلالة الحائرين) وغيره من كتبهن وهم على رأيه إلى زمننا". المقريزى: ج٤ – م٢ ص٩٥٢.

[3] المقريزى: المواعظ والاعتبار، جزء ٤ – م٢، ص٩٥٥.

[4] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣.، ص٦١.

[5] أبو العباس القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الأنشا، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤، ج ١١، ص٣٩٠.

[6] مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ترجمة : نسرين مرار وسمير نقاش، تل أبيب، مكتبة لقاء وجامعة تل أبيب والمعهد اليهودى العربى، ١٩٨٧، ص٣٧.

[٧] ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، الجزء الثالث، تحقيق: عامر النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ج٣ ص ٤٥٧- ٤٥٩، عمر مصطفى لطف: حكاية يهود مصر .. العصر الأيوبى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣، ص٦٤- ٧٣.

ولابد من الإشارة إلى أن فكر موسى بن ميمون انتقل أيضاً إلى مجتمع يهود اليمن وأثر فيه بعمق ، حيث يقول الرحالة الإيطالى اليهودى عوبديا "يهود عدن جميعا من كبيرهم إلى صغيرهم يشغلون أنفسهم بشكل أساسى بما ورد من أقوال فى أعمال ابن ميمون، ويعكفون على دراستها"، واستمر هذا الارتباط لعهد عوبديا (أواخر العصر المملوكى)، على أحمد محمد السيد: اليهود فى شرق البحر المتوسط، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦، ص٢٠٣.

[٨] قاسم عبده قاسم: أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧، ص١٤٣.

[٩] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص٨١.

[١٠] محاسن الوقاد :اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص٣٣٤.

[١١] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص٨١.

[١٢] على أحمد محمد السيد: اليهود فى شرق البحر المتوسط، ص١٩٦.

[١٣] عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧، ج٥، ص٤١٦.

ونتيجة تفوق الأقباط فى علم الحساب، أخرج بعض المسلمين أولادهم من مكاتب المسلمين وأرسلوهم إلى مكاتب الأقباط لتعلم الحساب (وهذا يدل على دخول المسلمين فى مكاتب الأقباط والعكس، وأنه لم يكن هناك تقييد فى عملية انتقال أبناء الديانات الثلاثة فى مكاتب بعضهم البعض)، ابن الحاج : المدخل إلى الشرع الحنيف، القاهرة، دار التراث الإسلامى، ج٢ ص٣٣٠.

[١٤] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص٨٣.

وقد شغلت المواعظ مكانة فريدة فى حياة الطوائف فى كل زمان ومكان، وكانت المواعظ تلقى فى أيام السبت ، وفى المناسبات والأعياد المختلفة، يعقوب لاندوا (تحرير): تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية، ترجمة جمال أحمد الرفاعى، أحمد عبد اللطيف حماد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٠، ص٣٨٦.

[١٥] محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص٣٣٨.

[١٦] عبد الرازق قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، القاهرة، دار التراث الإسلامى، ١٩٨٤، ص١٦٦.

[١٧] يعقوب لاندو: تاريخ يهود مصر، ص٣٣٢- ٣٣٣.

[١٨] محسن شومان "اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ج٢، ص٧٥.

[١٩] محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص٣٩١.

[٢٠] محسن شومان: اليهود فى مصر العثمانية، ج٢، ص٧٤.

[٢١] وقد استخدم المصطلح مجازا بمعنى الكُتاب (المكتب) عند المسلمين.

[٢٢] عبد الرازق أحمد قنديل: الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، ص١٦١، محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص٣٣٥- ٣٣٦.

[٢٣] محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص٣٣٦- ٣٣٧.

[٢٤] قاسم عبده: اليهود فى مصر، ص١٠٣.

[٢٥] القلقشندى: صبح الأعشى، ج١١، ص٣٨٩.

[٢٦] عبد الرازق أحمد قنديل: الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، ص١٤٤.

[٢٧] القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧، ٤٩، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة فى مصر، ١١٨.

[٢٨] قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص١٦٦- ١٦٧، وكتابه الآخر: اليهود فى مصر، ص١٢٣.

[٢٩] قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص١٦٧.

[٣٠] قاسم عبده: اليهود فى مصر، ص١٢٣.

[٣١] على أحمد السيد : اليهود فى شرق البحر المتوسط، ص١٩٨.

وكان للسامرة لهجة عبرية وأبجدية خاصة تختلفق عن لغة سائر اليهود ، يزعمون أنها جاءتهم صحيحة منذ زمن موسى (عليه السلام). وقد لاحظ الرحالة اليهودى ميشولام، الذى زار مصر أواخر القرن (١٥م) أن الأبجدية التى يستخدمها السامرة تنقص عدداً من الحروف عن الأبجدية التى يستخدمها سائر اليهود. قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص٥٧.

[٣٢] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص١٢٣.

[٣٣] مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية، ص٨٠.

[٣٤] على أحمد السيد : اليهود فى شرق البحر المتوسط، ١٤٥.

[٣٥] جاك حاسون: تاريخ يهود النيل، ترجمة: يوسف درويش، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠ ، ص٧٤.

[٣٦] أشار أستاذنا الدكتورعلى السيد بأن الإسم الصحيح له هو أبوديا.

[٣٧] على أحمد السيد : اليهود فى شرق البحر المتوسط، ص٧، ٩٨، ٢٠٩، ١٤٥.

[٣٨] يعقوب لاندوا : تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية، ص٣٤٥ – ٣٤٦.

[٣٩] قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص١٦٦.

[٤٠] شمس الدين محمد السخاوى: الضوء اللامع فى أهل القرن التاسع، الجزء الأول، بيروت، دارالجيل، (ب.ت)، ج١، ص١١٦- ١١٧.

[٤١] يعقوب لاندوا : تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية، ص٦٥٢.

[٤٢] مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية، ص ٦٨- ٦٩، ٧٨.

[٤٣] المصدر السابق، ص ٧٩.

[٤٤] قاسم عبده: أهل الذمة فى مصر، ص١٧٣.

[٤٥] المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٣، ٢٠٠٩، ج٣ ق١، ص٥٦.

[٤٦] الحافظ ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق : حسن حبشى، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ٢٠٠٩، ج١، ص٢١٦.

وقد ارتغم غالب الناس لابن صغير لتقدّمه فى صناعته وتودّده للناسن حتى قال الشيخ بدر الدين الصاحب :

قالوا بديع غدا شريكا لابن صغير ودى تعاسَه

قلت شريك بنصف جُعْل ولم يشاركه فى الرياسة

[٤٧] المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص١٨٧– ١٨٨.

وذكر قاسم عبده قاسم شخص آخر (وهو مهذب الدين أبو سعيد محمد أبو حليقة) على إنه كان يهوديًا وأسلم ، ولكن بالرجوع إلى كتاب المقريزى "المواعظ والاعتبار" وجد أن جد المهذب كان مسيحيًا وأن أبيه قد أسلم.

[٤٨] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص٩١، ٩٤.

[٤٩] المصدر السابق، ص٩٤– ٩٥؛ محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص١١٠.

[٥٠] انظر غضب السلطان الأرف برسباى من الطبيب المسلم الريس شمس الدين ابن العفيف والطبيب اليهودى زين الدين خضر الإسرائيلى، بسبب فشلهما فى علاجه من مرضه، محمد ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨، ج٢، ص١٨٥.

[٥١] محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص١٠٤.

[٥٢] ابن سعيد المغربى: النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة)، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب المصرية، ط٢، ٢٠٠٠، ص٢٨. ولمزيد عن الأطباء

اليهود فى العصر الأيوبى، راجع: عمر مصطفى لطف "حكاية يهود مصر"، ص ٤٧-٦٠.

[٥٣] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ص٩٤.

[٥٤] محمد ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج٢، ص١٨٥، ٤٥٢.

[٥٥] قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، ٩٤؛ محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص١١٠.

[٥٦] محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص١١٤- ١١٥.

[٥٧] قاسم عبده: اليهود فى مصر، ص٩١- ٩٢.

[٥٨] المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ق٣، ص٧٢٨.

[٥٩] الحافظ ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر بأنباء العمر، ج١، ص٢١٦.

[٦٠] محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص١٠٥، ١٠٧، ٢٥٠.

[٦١] قاسم عبده: اليهود فى مصر، ص١٠٣.

[٦٢] يعقوب لاندوا : تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية، ص٣٣٣ – ٣٣٥.

[٦٣] قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص١٤٨.

[٦٤] تعلم بعض اليهود عدة لغات مكنتهم من العمل فى مجال الترجمة؛ فقد وُجد فى الاسكندرية بعض المترجمين اليهود للغات الإيطالية والعربية والألمانية والتركية واليونانية والفرنسية، بالإضافة إلى اللغة العبرية. وكان عمل اليهود بالترجمة أمراً مألوفاً فى عصر الدولة المملوكية ، فكان مترجم السلطان الأشرف برسباى يهودياً ثم أسلم. وطبيعة الإسكندرية بإنها ميناء يجمع بين شتى الأجناس والمسافرين ، فكثر المترجمين ومنهم اليهود، على أحمد محمد السيد "اليهود فى شرق البحر المتوسط، ص٩٢. وكان هناك من اليهود من يأتى من دول البحر المتوسط ويقيمون بين يهود مصر، ومن ثم فقد وجد من بين اليهود من يجيد اللغات الأوربية ويعمل فى مجال الترجمة ، فقد عمل بعض اليهود كمرشدين ورافقوا السياح الأوربيين فى رحلاتهم إلى الشرق سواء كانوا سواحا يهودا أو

سواحا نصارى، كما عمل بعض هؤلاء المترجمين اليهود فى خدمة المؤسسات التجارية الأوربية. ونجد فى الاتفاقيات التجارية التى أبرمت بين الدول المملوكية الجركسية والدول الأوربية الأخرى ما يشير أحياناً إلى السماح للتجار الأوربيين بتشغيل بعض اليهود من أبناء هذه الدول، محاسن الوقاد: اليهود فى مصر المملوكية، ص ١٢٣-١٢٤.

[٦٥] مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية، ص٦٣.

[٦٦] هو أبو المنا إبراهيم بن موسى بن ميمون، نشأ بالفسطاط، وكان طبيبا مشهورا عالما بصناعة الطب، جيدا فى أعمالها، وعمل بخدمة الملك الكامل محمد بن أبى بكر، وكان يعالج المرضى فى بيمارستان القاهرة. ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج٣، ص٤٦٠. وله عدة مؤلفات، من أهمها: كتابه "كفاية العابدين" وهو يضم مجموعة ضخمة من المبادئ الصوفية اليهودية؛ وله أيضًا كتاب عن الزهد، ردّ فيه ابراهيم – بدفاع أدبى قوى – عن تهم وجهاء اليهود بإنه ادخل البدع إلى الديانة اليهودية، مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر، ص٧٨.

[٦٧] عطية القوصى : اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص٦٤، مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر، ص ٨١.

[٦٨] وليست هنالك معلومات تفيد عن عودة داود إلى القاهرة بعد إقامته فى سوريا. وبإنتهاء مدة داود تنتهى فترة الناجدية فى عائلة ميمون. وتنتقل منهم إلى عائلة أخرى. وليس هنالك أية معلومات عن ظروف هذا التحول وعن مصير عائلة ميمون . وهنالك نص وصل إلينا جاء فيه أن داود مات فى دمشق مخلفاً اثنين من أولاده سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م). وبعد ذلك لا نجد أخبارا للناجدين فى الفترة الممتدة منذ ذلك التاريخ حتى الفتح العثمانى لمصر، عطية القوصى: اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، ص٦٤.

[٦٩] عطية القوصى: اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، ص٦٤.

[٧٠] مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر، ص٧٨، ٨١.

[٧١] يعقوب لاندوا : تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية، ص٦١٧.

[٧٢] مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية، ص ٨١.

المصادر والمراجع:

- ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، الجزء الثالث، تحقيق: عامر النجار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠
- ابن الحاج : المدخل إلى الشرع الحنيف، القاهرة، دار التراث الإسلامى.
- الحافظ ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق : حسن حبشى، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ٢٠٠٩
- ابن سعيد المغربى: النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة)، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ٢٠٠٠.
- شمس الدين محمد السخاوى: الضوء اللامع فى أهل القرن التاسع، الجزء الأول، بيروت، دارالجيل، (ب.ت)
- أبو العباس القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الأنشا، الجزء الحادى عشر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤.
- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، الجزء الخامس، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧.
- محمد ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨.
- المقريزى: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، الجزء الرابع، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، ٢٠٠٣.

- المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٣، ٢٠٠٩.

- عبد الرازق قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى، القاهرة، دار التراث الإسلامى، ١٩٨٤.

- عطية القوصى : اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١

- على أحمد محمد السيد: اليهود فى شرق البحر المتوسط، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦

- عمر مصطفى لطف: حكاية يهود مصر .. العصر الأيوبى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣

- قاسم عبده قاسم: أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.

- قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٣.

- محاسن الوقاد :اليهود فى مصر المملوكية فى ضوء وثائق الجنيزة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

- محسن شومان "اليهود فى مصر العثمانية حتى القرن التاسع عشر، الجزء الثانى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

- نخبة: قاموس الكتاب المقدس، القاهرة، دار الثقافة، ط٧، ١٩٩١

- جاك حاسون: تاريخ يهود النيل، ترجمة: يوسف درويش، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٧ .

- مارك كوهن: المجتمع اليهودى فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، ترجمة : نسرين مرار وسمير نقاش، تل أبيب، مكتبة لقاء وجامعة تل أبيب والمعهد اليهودى العربى، ١٩٨٧.

- يعقوب لاندوا (تحرير): تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٠.

* * *